الدعوة الإسلامية وأثرها في نشر ثقافة وقواعد اللغة العربية

أ. د. عمر نجم الدين انجة الجباري

خلاصة البحث

إن البحث الموسوم (الدعوة الإسلامية وأثرها في نشر ثقافة وقواعد اللغة العربية) يسلط الضوء على الاهتمام باللغة العربية كونها لغة القرآن الكريم والأمة الإسلامية وليست لغة للقومية العربية وحصرها بهم، لأن حصر تلك اللغة بالقومية المعينة انتقاص من شأنها وتقليل من بلاغتها ومفهومها(المنطوق وغير المنطوق) ومدلولها أيضا؛ واللغة العربية أصبحت عزيزة على قلوب الناس لأنها استخدمت في نشر الدعوة الإلهية وهي دعوة إسلامية، والناس عندما اعتنقوا الدين الإسلامي بذلوا جهودهم طوعا لإتقان اللغة العربية وفهم مدلولاتها وقواعدها حبا لفهم القرآن الكريم وتعليم أحكام الدين الإسلامي خاصة للناطقين بغيرها، أي من غير القومية العربية، عندما فتحت البلدان غير العربية وتم نشر الدعوة الإسلامية وجدت اقبال من غير العرب على اعتناق الدين الإسلامي وكما هو مستمر في الوقت الحاضر ويستمر ذلك الى يوم الدين، ولا شك أنه لا يمكن فهم أحكام الدين الإسلامي إلا من خلال تعلم اللغة العربية وفهم قواعدها، لذلك أن تعلم اللغة العربية يعد سببا لفهم أحكام القران الكريم والشريعة الإسلامية لعلة تطبيق تلك الأحكام لينال الإنسان رضا الله سبحانه وتعالى من جانب، وليكون عضوا صالحا يستفاد منه في تنظيم المجتمع من خلال تأثيرات أقواله وأفعاله وفق منهج الإسلامي السليم.

وكما في البحث إشارة الى أن اللغة العربية كانت حية قبل الدعوة الإسلامية إلا أنها كانت استخدامها محدودة ببيئة معينة وهي شبه الجزيرة العربية، إلا أن بعد انتشار الدعوة الإسلامية نجد أن استخدامها عممت في بلدان غير العربية واستمر ذلك الى وقتنا الحاضر كما في اندونيسيا وماليزيا وباكستان وبعض الدول الأوروبية وغيرها ، حيث تم فتح مراكز تعليمية في الجامعات والمعاهد لتعليم اللغة العربية وفي ازدياد وتطور .

وكما سلط البحث على تصحيح بعض المفاهيم التي تتعلق باللغة العربية وأن لا تنفك عن الدعوة الإسلامية لئلا تؤثر سلبا على الناطقين بغيرها والدول المسلمة غير العربية؛ لأن خطورتها أعظم لعلاقتها بدوامة النشر الدعوة الإسلامية إذا ما تم إلصاق اللغة العربية بالقومية المعينة وأن لا تكون تعليمها لغير غايتها الحقيقية، لأنه بخلاف ذلك يتم النظر الى اللغة العربية قبل نشر الدعوة الإسلامية كيف كانت منزلتها؟

سلط البحث على تطبيقات علماء اللغة العربية كيف كانوا يستشهدون بالقران الكريم والأحاديث النبوية في تعليم وفهم اللغة العربية عند قراءة كتبهم وفهمهم الآخرين؛ لأن بلاغة القرآن الكريم (لغة إسلامية) كانت معجزة أمام بلاغة العرب (لغة قومية) وعجزوا عن الإتيان بمثله ولو بآية كما يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي بيّن القرآن الكريم للناس بلسان عربي مبين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ..... وبعد .

إن الدعوة الإسلامية المباركة كانت بأمر الله سبحانه وتعالى أولاً فأوجبت بالاتباع والالتزام لذلك نجد انها انتشر بين البلدان والأمصار وتلقاها الناس بالقبول الحسن: لأنهم وجدوا الطمأنينة

وحفظ مصالحهم فيها، لذلك بذلوا جهودهم وما بوسعهم من فهم احكام الشريعة الاسلامية، فاضطروا الى فهم وتعلم وتعليم قواعد اللغة العربية رغبة منهم لاعتناق الاسلام وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية، فكان تعلم اللغة العربية سببا لفهم الشريعة الاسلامية لعلة تطبيقها؛ لذلك يجب أن لا تنفك اللغة العربية عن الدعوة الاسلامية للحفاظ على هيمنتها ومكانتها وإلا يتم النظر اليها قبل الدعوة الإسلامية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية البحث الحفاظ على المكانة السامية التي امتازتها اللغة العربية كلغة القرآن الكريم والتي انتشرت بسببه ويزداد انتشارا من عصر الى عصر آخر وإن أراد المغرضون الوقوف أمامه وتشويه أحكامه.

سبب اختياري للبحث:

لاحظت خطورة في الموضوع من سوء الفهم للغة العربية والدفاع عنها كلغة قومية للعرب لئلا تؤدي الى ذريعة غير مشروعة هو العزوف عن تلقي علم هذه اللغة من غير العرب ويؤدي الى انتشال الدعوة الاسلامية، وبالتالي تفقد اللغة العربية حقيقتها.

الهدف من البحث:

يهدف البحث الى جعل اللغة العربية بالمفهوم العام أي إلصاقها بالدعوة الإسلامية ليتلقاها المسلمون من العرب وغير العرب ، وأن لا ينحصر بالمفهوم الضيق أي بالقومية العربية لينفصل اللغة عن الدعوة الإسلامية رعاية للحفاظ على دوامة وتطبيق الرسالة الالهية.

المبحث الأول

مفهوم الدعوة الإسلامية واللغة العربية، ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الدعوة الإسلامية في اللغة و الاصطلاح والغاية من التعريف .

الدعوة في اللغة: جمعها دعوات: من دعا يدعو دَعوَةٌ داعٍ (الداعي) مَدعُوٌ الى عقيدته: بشر بها (دعا الى الاسلام)(١)، والمرة الواحدة من الدعاء، ومنه الحديث : فإن دعوتهم تحيط من ورائهم أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، يريد أهل السنة دون البدعة، و دعا الرجل دعوا ودعاء : ناداه ، والاسم الدعوة . و دعوت فلانا أي صحت به واستدعيته(٢). ودعا الرجل دعوا ودعاء : ناداه ، والاسم الدعوة . و دعوت فلانا، أي- صحت به واستدعيته(٣).

والدَّعْوَةُ ؛ بالفتْح ، يطلق ما يُدعَى اليه من طعام وشراب، اسْمٌ من دَعَوْت الناسَ إذا طَلَبْتهم ليَأْكُلُوا عنْدَكَ . يقالُ : نحنُ في دَعْوَة فلانٍ، أي- في ضيافته(٤).

الدعوة : بالفتح دعوة الطعام وبالكسر دعوة النسب وبالضم دعوة الوغاء والجهاد فيه(٥) .

الدعوة في الاصطلاح: نقصد بالدعوة، الدعوة الى الله تعالى، قال تعالى ((قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ...))، والمقصود بالدعوة الى الله الدعوة الى دينه وهو الإسلام ((إن الدين عند الله الإسلام)) الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) من ربه سبحانه وتعالى، فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهذا هو الأصل الأول للدعوة(٦).

ويطلق في نشر الاسلام وشهادة أنّا إله إلا الله (قام الرسول بتبليغ الدعوة على أحسن ما يكون) ((له دعوة حق))، والجهر بالدعوة: إخراج الرسول دعوته من باب السرية الى العلانية(٧). وهذا هو المقصود من الدعوة الإسلامية.

لذلك يقال في الإجابة: هي موافقة الدعوة فيما طلب بها ؛ لوقوعها على تلك الصفة(٨).

والغاية من التعريف : هي ان الدعوة وسيلة سلمية مبنية على الخير والمصلحة وتحقيق المحبة بين الطالب والمطلوب منه، كما إذا دَعَوْت الناسَ إذا طَلَبْتهم ليَأْكُلُوا عنْدَكَ ولا شك أن معظم الناس يتقبلون الضيافة وهذه الدعوة وذلك لأسباب:

- إنهم على يقين بان هذه الضيافة لزيادة المحبة والمودة
- تحقيق الرضا بين الطرفين لقبول الدعوة والضيافة دون إكراه من احدهما.
- إنه يشعر بالأمان لقبول الدعوة دون أن يشعر بأن هناك خطرا يهدد مصالحه.
- يجد بأنه يحقق مصلحة لقبول الدعوة لكن المصلحة قد تكون دنيوية.

فكانت الدعوة الإسلامية بهذه المعاني لذلك تقبلها الناس بالقبول الحسن وبدون إكراه لأنهم رأوا أن ذلك من مصلحتهم في الدنيا والآخرة .

المطلب الثاني: مفهوم اللغة العربية وما يتعلق بها .

اللغة في اللغة: جمعها لُغًى ولُغاتٌ، وهي أصوات يُعَبِّرُ بها كل قوم عن أغراضهم،

أو كل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار كالإشارات والأصوات والألفاظ(٩).

وعلم اللغة : هو علم يدرس أوضاع الأصوات والألفاظ والتراكيب وأنظمتها، ويقال: علم اللسان أو اللسانيات أو الألسنة(١٠).

وعرب : العرب و العرب : جيل من الناس معروف ، خلاف العجم ، وهما واحد ، مثل العجم والعجم ، مؤنث ، وتصغيره بغير هاء نادر. و العرب العاربة : هم الخلص منهم ، وأخذ من لفظه فأكد به ، و تقول : عرب عاربة و عرباء : صرحاء . و متعربة و مستعربة : دخلاء ، ليسوا بخلص . و العربي منسوب إلى العرب(١١).

والعرب أهل الأمصار، والأعراب منهم سكان البادية خاصة . و تعرب أي تشبه بالعرب ، و تعرب بعد هجرته أي صار أعرابيا . والعربية : هي هذه اللغة .

واختلف الناس في العرب لمَ سموا عربا فقال بعضهم : أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان ، وهو أبو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة . ونشأ إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، معهم فتكلم بلسانهم ، فهو وأولاده: العرب المستعربة وقيل : إن أولاد إسماعيل نشؤوا بعربة ، وهي من تهامة ، فنسبوا إلى بلدهم. وروي عن النبي، أنه قال: خمسة أنبياء من العرب، وهم: محمد، وإسماعيل، وشعيب، وصالح، وهود، (صلوات الله عليهم). وهذا يدل على أن لسان العرب قديم. وهؤلاء الأنبياء كلهم كانوا يسكنون بلاد العرب فكان شعيب وقومه بأرض مَديَن، وكان صالح وقومه بأرض ثمود ينزلون بناحية الحجر ، وكان هود وقومه عاد ينزلون الأحقاف من رمال اليمن ، وكانوا أهل عمد، وكان إسماعيل بن إبراهيم والنبي المصطفى محمد ، من سكان الحرم وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ، ونطق بلسان أهلها (١٢).

وروي عن أبي بكر الصديق، (رضي الله عنه) ، أنه قال : قريش هم أوسط العرب في العرب دارا ، وأحسنه جوارا ، و أعربه ألسنة . وقال قتادة : كانت قريش تجتبي ، أي تختار ، أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتها لغتها ، فنزل القرآن بها . قال الأزهري : وجعل الله – عز وجل – القرآن المنزل على النبي المرسل محمد عربيا ، لأنه نسبه إلى العرب الذين أنزله بلسانهم ، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب، في باديتها وقراها ، العربية وجعل النبي عربيا لأنه من صريح العرب.

وتقول: رجل عربي اللسان إذا كان فصيحا وقال الليث : يجوز أن يقال : رجل عرباني اللسان . قال : و العرب المستعربة هم الذين دخلوا فيهم بعد ، فاستعربوا . قال الأزهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم ، وحكوا هيئاتهم ، وليسوا بصرحاء فيهم .

وقال الأزهري : الإعراب و التعريب معناهما واحد ، وهو الإبانة يقال : أعرب عنه لسانه و عرب أي أبان وأفصح . و أعرب عن الرجل : بين عنه . و عرب عنه : تكلم بحجته (١٣).

إذن نستطيع أن نقول : بأن اللغة العربية تنسب الى جيل من الناس في السابق و الى سكان الدول العربية في الوقت الحاضر ، أي كانت محصورة بمنطقة معينة ثم انتشرت في مناطق عدة .

المطلب الثالث: اللغة العربية في الدعوة الاسلامية

بما أن لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ولكنه لا يذهب منه شيء على عامة أهل العلم كالعلم بالسنة عند أهل الفقه لا نعلم رجلا جمعها فلم يذهب منها شيء عليه(١٤) ، وأن العرب كانوا يتباهون بفصاحة لغتهم وبلاغتها وكانوا على فطرة سليمة من حيث سلامة اللغة، إلا أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم باللغة العربية وعجز العرب المخالفين عن الإتيان بمثله، ثم تحداهم بعشر سور فعجزوا، ثم بسورة واحدة فعجزوا أيضا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هود: ١٣ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ وأن الأمر الوارد في الآية الكريمة للتعجيز(١٥)

ومع هذا التحدي الذي يستفز الهمم ويبعث على المعارضة عجز العرب عن المعارضة بالرغم من وجود المقتضي للمعارضة، وعدم المانع منها، أما وجود المقتضي فلأن العرب كانوا حريصين كل الحرص على إبطال دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم)(١٦).

وأما عدم المانع من المعارضة فلأنهم أهل البلاغة والفصاحة والمعرفة التامة باللغة العربية وأصحاب الحكم والسلطان والقوة والنفوذ كان بيد المشركين في مكة، أما المسلمون فكانوا ضعفاء لا حول لهم ولا قوة، وان المشركين مع قوتهم كان لهم الرغبة والحرص في ابطال دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) واستخدموا وسائل عدة من الترغيب والقوة لكن بلا جدوى ؛ لأنه من وجوه القرآن الكريم بلاغته التي بهرت العرب وجعلهم مشدوهين على نحو لم تعهد في كلام العرب من قبل لا في منظوم ولا منثور مع بقائها في مستوى عال في جميع أجزاء القرآن(١٧).

فلما ثبت عجزهم ثبت أن القرآن النازل بلغة العرب وهو كتاب الله وأن محمداً(صلى الله عليه وسلم) وهو رسول الله حقا(١٨) ؛ لأن المعجز الدال على نبوة محمد نبينا (صلى الله عليه وسلم) هو القرآن الكريم، وكون القرآن معجزا على قولين: أحدهما- أنه خرق العادة بفصاحته وخرج عن مقدور البشر. والقول الثاني: أن وجه الإعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف وأمر القائل بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة إلى تحقق الفصاحة ما هي ليقطع على أنها كانت في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم(١٩).

مع التحدي وعجز العرب ووجود الرسول (صلى الله عليه وسلم) واستمراره في الدعوة الالهية بشكل سري ثم العلني وباللغة العربية واستخدامه الحكمة والموعظة الحسنة وجادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة في الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف(٢٠) واعراض والصفح عن أذاهم في نفس الوقت ان قالوا شرا فقولوا خيرا(٢١)، فكان سببا في نجاح الدعوة الإسلامية واعتناقهم الدين الإسلامي امتثالا لأمر الله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥.

المبحث الثاني

أثر الدعوة الإسلامية في اللغة العربية، ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب:

إذا ما ننظر الى تأريخ العربي والإسلامي نجد أن الدعوة الإسلامية لها تأثير واضح وإيجابي في تطوير اللغة العربية فهي تزيدها القدم قوة وخبرة وسعة وعمقا وامتدادا.

المطلب الأول: اللغة العربية قبل الاسلام وبعده .

إن العرب أمة عريقة كريمة عاشوا في مواطنهم في قلب الجزيرة العربية، وفي شمالها وجنوبها واطرافها قبائل متعددة ولهجات متعددة بحسب الطبيعة والبيئة، ومن المعروف أن قريشا وسائر العرب اشتهروا بالبلاغة والفصاحة والمعرفة باللسان العربي وبرزوا في ذلك خطابة ونثرا وشعرا وتذوقا، حتى انهم كانوا يعقدون المواسم الأدبية لتخير أحسن الشعر، إلا انه لم تكن الحاجة الى تدوين قواعد اللغة العربية لأن لغتهم كانت سليمة من حيث الفطرة بالفصاحة والبلاغة إلا أن هذه اللغة كانت لغة قومية لأهلها من العرب الذين ابتدعوها لذلك نجدها كانت لغة محصورة ببيئة معينة لقومية معينة ولم تكن لها مكانة سامية عند الشعوب والأمم الأخرى.

لكن العرب بعد اعتناقهم الإسلام ازداد اهتمامهم باللغة العربية لزيادة شرفها إذ خصها بخصائص ليست لغيرها من اللغة وجعل فضلها في أقصى الغايات حين أنزل القرآن العظيم وبعث الرسول اللذين جعلهما عربيين فشرفت بهما اللغة العربية وثبتت لها الفضيلة والزية هو الآله القادر الجبار(٢٢). وجعلت هذه اللغة مشهورة بين الأمم نظرا لحمل الرسالة الالهية الى الناس كافة(٢٣) ، لذلك لم تخدم أمة من الامم لغتها وتعن بها دراسة وضبطا كما فعل العرب لخدمة الاسلام وتمكينا للمسلمين من فهم القران الكريم الذي يظل المثل الأعلى لصفاء هذه اللغة ونقائها(٢٤).

المطلب الثاني: سبب الاهتمام باللغة العربية وقواعد النحو

إن العرب اهتموا بلغتهم منذ القدم الا انهم في البوادي والحواضر ليسوا على درجة واحدة في الفصاحة والبيان، فلغة الشعراء والخطباء والكتاب والمتعلمين ليست كلغة الصناع والتجار والعمال والفلاحين وان كانوا جميعا يتكلمون بلغة واحدة، فاللغة على مستويات مختلفة: لغة عليا فصيحة تلتزم بالضوابط اللغوية ولغة دون ذلك فيها تجاوز وتسامح(٢٥).

إلا أن العرب زاد اهتمامهم باللغة بعد نشر الدعوة الإسلامية وظهور القرآن الكريم ووجود النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولم يكن اهتمامهم إلا حرصا

وحفاظا لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، روي عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلا قرأ فلحن، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أرشدوا أخاكم)(٢٦) .

وعن مصعب بن سعد قال: مَرَّ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوم يرمون نبلا فعاب عليهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا قوم متعلمين، فقال: لحنكم علينا أشد من سوء رميكم، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (رحم الله امرأ أصلح من لسانه)(٢٧)

وروي انه قدم أعرابي في زمان عمر فقال : من يقرئني مما أنزل الله على محمد قال فأقرأه رجل براءة فقال : (أن الله بريء من المشركين ورسوله (بالجر فقال الأعرابي أوقد برئ الله من رسوله إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال يا أعرابي أتبرأ من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة فقال) أن الله بريء من المشركين ورسوله (فقلت أوقد برئ الله من رسوله إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه فقال عمر ليس هكذا يا أعرابي قال فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال : (أن الله بريء من المشركين ورسوله) فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه فأمر عمر بن الخطاب ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة وأمر بالأسود فوضع النحو(٢٨) .

يتبين من ذلك ان قواعد اللغة العربية لم تدون في صدر الاسلام وذلك لوجود الرسول (صلى اله عليه وسلم) وهو مرجع الأحكام، وفي عصر الصحابة الكرام والتابعين بعد أن أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا تأثرت المصطلحات العربية بغيرها فأدى ذلك الى فتح أبواب الجدل والنقاش والخلاف واللحن، فاضطر علماء اللغة الى وضع قواعد اللغة العربية صونا للألسنة من الخطأ في التلفظ والتخليط والتحريف، وعلماء الأصول الى تقعيد قواعد أصول الفقه حفظا للعقول من الخطأ في الاستنباط(٢٩) .

وذكر بعض علماء اللغة يذكرون أنه لم يكن الحفاظ على القرآن هو الدافع الوحيد الى التفكير في وضع قواعد وأصول لحماية اللغة وضبطها، وانما كانت هناك دوافع أخرى منها:

- الدافع الديني: خشية المسلمين على كتابهم أن يصيبه اللحن في قراءته أو التصحيف في أحرفه، فيؤدي ذلك الى تحريف آياته وتغيير المفهوم منها وبذلك تتغير الاحكام المأخوذة منه والمبنية عليه، ويصبح المفهوم من الآية كفرا وهو ايمان أو حراما وهو حلال.
- الدافع الاجتماعي: نتيجة الهجرة الى البيئات الاسلامية بالقوميات المختلفة التي كانت تسكن في البلاد المفتوحة بعد الفتوحات الاسلامية ولا سيما البصرة، وانتشرت نتيجة لتجمع هذه القوميات المختلفة لغات متعددة اثرت في السنة العرب، وكان لرغبة الداخلين في الاسلام في تعلم العربية لغة القران، والعبادات الدينية ولغة الدولة الحاكمة ليصلحوا بها أمور دينهم وليستطيعوا مشاركة العرب في ادارة شؤون الدولة.
- الدافع اللغوي القومي: وقد أدى اختلاط لغات الحواضر بلغات القوميات المختلفة وغيرها الى فساد لغتها، ولذلك اصبحوا يرسلون أولادهم الى البادية لتلقي اللغة الفصيحة، وبعد انتشار الاسلام خاف العرب المسلمون على لغتهم لغة القران من التحريف والذوبان والضياع، ودفعهم الامر الى ضبطها وتقييدها بما وضعوا لها من قواعد(٣٠).

يتبين لنا الدوافع الاجتماعية والقومية كانت لتأثيرات دينية، أي لحماية وحفاظ الاحكام الشريعة الاسلامية؛ بدليل أنها لم تدون قبل الدعوة الإسلامية، بمعنى أنها لم تكن هناك دوافع حقيقية لضبط قواعد ونحو اللغة العربية، ولم تكن هناك هجرة الى البلاد العربية أو اعتناق القومية أو اختلاط الاجتماعية المؤثرة.

المطلب الثالث: سبب انتشار اللغة العربية

يتبين لنا مما سبق أن سبب انتشار اللغة العربية في البلدان والأمصار غير العربية هو الدعوة الإسلامية لعلة الرغبة في الآتي:

- اعتناق الدين الإسلامي
- فهم القرآن الكريم و السنة النبوية
- امتثال لأمر الله تعالى

المطلب الرابع: أهمية ربط اللغة العربية بالدعوة الإسلامية

تكمن أهمية ربط اللغة العربية بالكتاب الإلهي والدعوة الإسلامية هو للمحافظة على شرفية اللغة العربية لغة القرآن الكريم في الدوامة والاستمرار في التعلم والتعليم سواء في البلدان العربية

وغيرها ليتقبلها الناس بالقبول الحسن، وإذا أنفك اللغة العربية عن الدعوة الإسلامية يتم النظر اليها كلغة قومية منفصلة عن الدين، فيقاس عما كان وضع اللغة العربية قبل الإسلام وعلى أية حالة كانت، فالمسألة خطيرة يجب التنبؤ اليها؛ لأن الذين يتكلمون اللغة العربية ويتقنونها معظمهم من بلدان وقوميات غير عربية، فلم يكن دوافعهم لتعلم اللغة العربية إلا حبا بالدين الإسلامي وتعليم أحكامه .

الخاتمة لأهم النتائج

١- إن اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، لذلك أن شرفها مقرونة بالشريعة الاسلامية

٢- إن الدافع الحقيقي والرئيسي لوضع قواعد النحو هو الدافع الديني صونا للألسنة من الخطأ في التلفظ، فخاف العرب المسلمون على لغتهم لغة القران من التحريف والذوبان والضياع، ودفعهم الامر الى ضبطها وتقييدها بما وضعوا لها من قواعد.

٣- إن سبب انتشار اللغة العربية هو الدعوة الإسلامية لعلة قبول وتطبيق الاحكام الشريعة الإسلامية وحفاظا عليها، والسبب هو توقف الحكم على وجوده، بمعنى إذا انفصل الدعوة الإسلامية عن اللغة العربية فلا تنتشر ولا يتقبلها الناس بقبول حسن.

٤- ربط اللغة العربية بالكتاب الإلهي والدعوة الإسلامية هو للمحافظة على شرفية اللغة العربية لغة القرآن الكريم في الدوامة والاستمرار في التعلم والتعليم سواء في البلدان العربية وغيرها.

٥- سر النجاح في العمل والهدف ما هو التخلي عن التعصب القومي لتحقيق التآخي بين أفراد المجتمع المتنوع والمختلف بغض النظر عن الجنس واللون واللغة كما فعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في نشر الدعوة الإسلامية .

٦- الدعوة الإسلامية بلغتها العربية لغة القرآن الكريم وسيلة للجمع ولم شمل مكونات المجتمع على أساس الأخوة البشرية، واللغة العربية كلغة قومية وسيلة للعزلة والانفراد والابتعاد عن الآخرين

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب التفسير وعلوم القرآن

١- أحكام القرآن ، اسم المؤلف: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله الوفاة: ٢٠٤ ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٠ ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق

٢- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، اسم المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن الوفاة: ٧٢٥هـ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م ، الطبعة : بدون ، تحقيق : بدون

٣- تفسير مجاهد ، اسم المؤلف: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج الوفاة: ١٠٤ ، دار النشر : المنشورات العلمية - بيروت ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي

٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر الوفاة: ٣١٠ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥

٥- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، اسم المؤلف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي الوفاة: ٣٦٧ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي

٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي الوفاة: ٥٣٨ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي

كتب الأحاديث والتخريج

٧- المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت ٤٠٥هـ)- دار الكتب العلمية للنشر في بيروت- ط (١) سنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م- تحقيق: مصطفى عبد القادر

٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، اسم المؤلف: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي الوفاة: ٩٧٥هـ ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي

٩- لسان الميزان ، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الوفاة: ٨٥٢ ، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : دائرة

١٠- مسند الشهاب ، اسم المؤلف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي الوفاة: ٤٥٤ ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

١١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، اسم المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي الوفاة: ٧٤٨ ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود

١٢- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، اسم المؤلف: أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي الوفاة: ٥٧١ ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥ ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري

كتب الأصول والفقه والدعوة الإسلامية

١٣- أصول الدعوة الإسلامية: للدكتور عبد الكريم زيدان- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت –لبنان- ط٩ ٢٠٠٢ .

١٤- أصول الفقه في نسيجه الجديد: للأستاذ المتمرس مصطفى إبراهيم الزلمي- ط(٥) طبعة منقحة ومزيدة- سنة ١٩٩٩م- شركة الخنساء للطباعة المحدودة- بغداد.

١٥- ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني الصنعاني

١٦- الموافقات في أصول الفقه ، اسم المؤلف: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الوفاة: ٧٩٠ ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : عبد الله دراز

١٧- الاعتصام ، اسم المؤلف: أبو إسحاق الشاطبي الوفاة: ٧٩٠ ، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى - مصر

١٨- البحر المحيط في أصول الفقه ، اسم المؤلف: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الوفاة: ٧٩٤هـ ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر

١٩- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، اسم المؤلف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي الوفاة: ٨٨٥ هـ ، دار النشر : مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح

٢٠- حاشية العطار على جمع الجوامع ، اسم المؤلف: حسن العطار الوفاة: ١٢٥٠ ، دار النشر : دار الكتب

٢١- الوجيز في أصول الفقه: للدكتور عبد الكريم زيدان- نشر احسان للنشر والتوزيع- طهران ط٦

كتب المعاجم اللغوية

٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي- دار ليبيا للنشر والتوزيع- طبع على مطابع دار صادر ببيروت سنة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٢٣- المعجم العربي الأساسي: تأليف وأعداد: جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- جامعة الدول العربية سنة ١٩٨٩م – توزيع لاروس.

٢٤- لسان العرب :محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(٧١١هـ)- الناشر : دار صادر بيروت- ط١.

٢٥- النحو العربي مذاهبه وتيسيره- الدكتور مجهد جيجان الدليمي و الدكتور محمد صالح التكريتي و الدكتور عائد كريم علوان الحريزي- بغداد: جامعة بغداد ١٩٩٣ .

٢٦- سبب وضع علم العربية ، اسم المؤلف: جلال الدين السيوطي الوفاة: ٩١١هـ ، دار النشر : دار الهجرة - بيروت / دمشق - ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مروان العطية

٢٧- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، اسم المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص

٢٨- الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني ت ٣٩٢هـ ، دار النشر: عالم الكتب بيروت، تحقيق: محمد علي النجار

٢٩- الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: علي بن عدلان الموصلي النحوي الوفاة: ٦٦٦هـ ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، ط٢ ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن

٣٠- سر الفصاحة : الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي الوفاة: ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ، الطبعة : الأولى

٣١- شرح ديوان المتنبي ، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى : ٤٦٨هـ) الوفاة: ٤٦٨ ، دار النشر.

الهوامش

١ - ينظر: المعجم العربي الاساسي ص ٤٥٢ (مادة دعو).

٢ - ينظر: ابن منظور- لسان العرب ٢٥٨/١٤ ، المعجم العربي الاساسي ص ٤٥٣ (مادة دعو).

٣ - ينظر: ابن منظور- لسان العرب ٢٥٨/١٤ .

٤ - ينظر: الزبيدي- تاج العروس٤٩/٣٨ ، المعجم العربي الاساسي ص ٤٥٣ (مادة دعو).

٥ - ينظر: النكري- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٧٤/٢ .

٦ - ينظر: ينظر: الدكتور عبد الكريم زيدان- أصول الدعوة ص٥ .

٧ - ينظر: المعجم العربي الاساسي ص ٤٥٣ (مادة دعو) .

٨ - ينظر: المناوي- التعاريف ٣٤/١ ، الكفومي- كتاب الكليات ٥٠/١ .

٩ - المعجم العربي الاساسي ص ١٠٩٣ (مادة لغو) .

١٠ - المعجم العربي الاساسي ص ١٠٩٣ (مادة لغو)

١١ - ينظر: ابن منظور- لسان العرب ٥٨٦/١ .

١٢ - ينظر: ابن منظور- لسان العرب ٥٨٧/١ .

١٣ - ينظر: ابن منظور- لسان العرب ٥٨٨/١ .

١٤ - ينظر: الشافعي- احكام القرآن ٢٣/١ .

١٥ - ينظر: الشاطبي- الموافقات ٣٨٨/٣، الشاطبي- الاعتصام٢٦٩/٢، الزركشي- البحر المحيط في أصول الفقه ٤ /٣١٦ ، علاء الدين المرداوي- التحبير شرح التحرير ٣ /١٢٤٢، حسن العطار- حاشية العطار على جمع الجوامع ١ /٤٧١ .

١٦ - ينظر: الدكتور عبد الكريم زيدان- الوجيز في أصول الفقه ص ١٥٤، الدكتور عبد الكريم زيدان – أصول الدعوة ص٣٠ .

١٧ - ينظر: الدكتور عبد الكريم زيدان- الوجيز في أصول الفقه ص ١٥٤، الدكتور عبد الكريم زيدان – أصول الدعوة ص٣٠ .

١٨ - ينظر: الدكتور عبد الكريم زيدان- الوجيز في أصول الفقه ص ١٥٤، الدكتور عبد الكريم زيدان – أصول الدعوة ص٣٠ .

١٩ - ينظر: الخفاجة الحلبي- سر الفصاحة ١/ ١٤ .

٢٠ - ينظر: الخازن- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ١٢٤/٤ .

٢١ - ينظر: تفسير المجاهد٣٥٥/١- ٤٩٦/٢ ، تفسير الطبري ١٩٤/١٤، تفسير السمرقندي٢٩٦/٢ ، الزمخشري- الكشاف ٦٠١/٢ .

٢٢ - ينظر: النيسابوري – شرح ديوان المتنبي ١/١.

٢٣ - وكان في البلاد العربية عند نشوء اللحن ووقوعه في اللغة العربية ثلاث لغات متداولة:

أ- اللغة المحكية في الحواضر حتى نهاية القرن الأول أو اللغة المثالية، وبها نزل القران الكريم.

ب- اللغة البدوية المستخدمة في البوادي وهي التي اعتمدها النحويون واللغويون.

ت- لغة الحواضر المحكية بعد القرن الأول للهجرة، التي استخدمت في مكة والمدينة والطائف والحيرة وأطراف الشام .

ينظر: الدكتور مجهد جيجان الدليمي و الدكتور محمد صالح التكريتي و الدكتور عائد كريم علوان الحريزي – النحو العربي مذاهبه وتيسيره ص١٥.

٢٤ - ينظر: مقدمة المعجم العربي الاساسي ص٥ .

٢٥ - ينظر: الدكتور مجهد جيجان الدليمي و الدكتور محمد صالح التكريتي و الدكتور عائد كريم علوان الحريزي – النحو العربي مذاهبه وتيسيره ص١٥.

٢٦ - ينظر الحاكم النيسابوري- المستدرك على الصحيحين٤٧٧/٢ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه

٢٧ - ينظر: مسند الشهاب ج ١ ص ٣٣٨، وان الحديث غير صحيح ومنكر ينظر: ابن حجر العسقلاني- لسان الميزان٣٩١/٤، الذهبي- ميزان

الاعتدال ٣٧٣/٥، علاء الدين الهندي- كنز العمال ١١٠/١٠ ، ابن جني- الخصائص ٢٤٦/٣ .

٢٨ - ينظر: أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل١٩١/٢٥، جلال الدين السيوطي- سبب وضع علم العربية١/٣٥- ٣٧ .

وروي أيضا- أن أبا الأسود الدؤلي رضي الله عنه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد فقال لها شهر ناجر يريد شهر صفر الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء فقالت يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذلك فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وهذا القول أول كتاب سيبويه ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها . ينظر: جلال الدين السيوطي- سبب وضع علم العربية٤٢/٢ .

٢٩ - الاستاذ الدكتور مصطفى ابراهيم الزلمي- ـ اصول الفقه في نسيجه الجديد ص٧، علي بن عدلان الموصلي- الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب١٥/١ .

٣٠ - ينظر: الدكتور مجهد جيجان الدليمي و الدكتور محمد صالح التكريتي و الدكتور عائد كريم علوان الحريزي – النحو العربي مذاهبه وتيسيره ص١٧- ١٨.